الشواهد الشرعية في قافية تأبط شرا

د. حمــزة العيـــــدية
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية
جامعة وهران

المقدمة

الحمد لله ذي الحول والقدرة بكلِّ ما حَمِد به أقْرَبُ عبادِه إليه، وأكْرمُ خلائقه عليه، وأرْضَى حامدِيه لديه، على ما أسبغَ علينا مِن نِعمه الظاهرة والباطنة، وآتانا من الفهم في كتابه المنزل على نبيّ الرحمة سيد المرسلين وإمام المتَّقين، محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، صلاة زاكية نامية وأزْلَفَ مقامَه لديه.

يقول أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي " كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ مِنْ إرثِ آبائهم في لغاتهم وآدابهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال و نُسخت ديانات وأُبطلت أمور ونُقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زِيدت، وشرائع شُرعت وشرائط اشترطت ."[1]

وهي لغة أهل الجنة كما ورد في الحديث: "أَحِبوا العرب لثلاث :لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي"[2]هذه الدراسةُ –كما يدلّ عنوانُها– تدور حول الألفاظ التي وردت في قافية تأبط شرا و مدى توافق أو افتراقٍ ما ورد منها في القرآن الكريم والحديث النبوي.

قافية تأبط شراً:

1- يا عِيدُ مالَكَ من شَوْقٍ وإيراقِ = ومَرَّ طَيْفٍ علَى الأَهوالِ طَرَّاقِ
2- يَسْرِي علَى الأَيْنِ والحيَّاتِ مُحْتَفِياً = نفسي فِداؤُكَ مِن سارٍ علَى ساقِ
3- إني إذا خُلَّةُضَنَّتْ بِنَائِلِها = وأَمْسكَتْ بضعيفِ الوصلِ أَحذَاقِ
4- نَجْوْتُمنها نَجائي مِن بَجِيلةَ إِذْ = أَلْقَيْتُ ليلةَ خَبْتِ الرَّهِط أَرواقى
5- ليلةَ صاحُوا وأَغْرَوْا بِي سِرَاعَهُمُ = بِالعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابنِ بَرَّاقِ
6- كأَنَّما حَثْحَثُواحُصًّا قَوادِمُهُ = أَو أُمَّ خِشْفٍ بِذى شَثٍّ وطُبَّاقِ
7- لا شيءَ أَسْرَعُ مِنِّي ليس ذا عُذَرٍ = وذا جَناحٍ بجَنْبِ الرَّيْدِ خَفَّاقِ
8- حتى نَجَوتُ ولما ينْزِعُوا سَلَبِي =بِوَالِهِ مِن قَبِيض الشَّدِّ غَيْدَاقِ
9- ولا أَقولُ إِذا ما خُلَّةٌ صَرَمَتْ = يا وَيحَ نفسيَ مِن شوقٍ وإِشْفاقِ
10- لكنَّما عَوَلِي إِنْ كنْتُ ذا عَوَلٍ = علَى بَصيرٍ بِكَسبِ الحمدِ سَبَّاقِ
11- سَبَّاقِ غاياتِ مَجدٍ في عَشِيرَته = مُرَجِّعِ الصَّوتِ هَدَّابينَ أَرْفَاقِ
12- عارِى الظَّنَابِيبِ، مُمْتدٍّ نَوَاشِرُهُ = مِدْلاجِ أَدْهَمَ وَاهِي الماءِ غَسَّاقِ
13- حَمَّالِ أَلويةٍ، شَهَّادِ أَندِيةٍ = قَوَّالِمُحْكَمَةٍ، جَوَّابِ آفاقِ
14- فَذَاكَ هَمِّي وغَزْوي أَسْتَغِيثُ به = إذا استَغَثْتَ بِضَافِي الرَّأْسِنَغَّاقِ
15- كالحِقْفِ حَدَّأَهُ النَّامُونَ قلتُ له: = ذُو ثَلَّتَيْنِ وذُو بَهْمٍ وأَرباقِ

16- وقُلَّةٍ كَسِنَانِ الرُّمْحِ بارزَةٍ = ضَحْيَانَةٍفي شُهورِ الصَّيفِ مِحرَاقِ
17- بادَرتُ قُنَّتَها صَحبي وما كَسِلُوا = حتَّى نَمَيْتُ إليها بَعدَ إشْراقِ
18- لا شيءَ في رَيْدِها إلاَّ نَعَامَتُهَا = منهَا هَزيمٌ ومنها قائمٌباقِ
19- بِشَرْثَةٍ خَلَقٍ يُوقَى البَنَانُ بها = شددتُ فيها سَرِيحاً بعدَإطْرَاقِ
20- بَلْ من لِعَذَّالةٍ خَذَّالةٍ أَشِبٍ = حَرَّقَ باللَّوم جِلدي أَيَّ تَحْرَاقِ
21- يقولُ أَهلكْتَ مالاً لَّو قَنِعْتَ به = مِن ثَوبِ صِدْقٍ ومنبَزٍّ وأَعلاقِ
22- عاذِلَتي إنَّ بعضَ اللَّومِ مَعْنَفَةٌ = وهَلْ متاعٌ وإنْ أَبقيْتُهُ باقِ
23- إني زَعِيمٌ لئن لم تتركُوا عَذَلي = أَنْ يَسْئَلَ الحيُّ عنِّي أَهلَ آفاقِ
24- أَن يَسْئَلَ القومُ عني أَهلَ مَعْرِفَةٍ = فلا يُخَبِّرُهُمْ عن ثابتٍ لاَقِ
25- سَدِّدْ خِلاَلَكَ من مالٍتُجَمِّعُهُ = حتَّى تُلاَقِي الذي كلُّ امرئٍ لاقِ
26- لَتَقْرَعَنَّعليَّ السِّنَّ من نَدَمٍ = إذا تذكرتَ يوماً بعضَ أَخلاقي

ترجمة الشاعر :

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عدي بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار.وسمي (تأبط شرا) لأنه تأبط سيفا وخرج، فقيل لأمه: أين هو؟ فقالت: تأبط شرا وخرج، وهذا أشهر ما قيل في سبب تلقيبه به. وكان أحد لصوص العرب المغيرين، قرينا للشنفرى الأزدي وعمرو بن براق، وكانوا ثلاثتهم من العدائين، الذين يعدون على أرجلهم فلا يدركهم الطلب، بل كانوا أعدى العدائين في العرب، لم تلحقهم الخيل[3].

لفظ "عيد"

وروده في الكتاب و السنة:

أولا الكتاب:

ذكرت كلمة العيد في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة المائدة 114.قال تعالى :﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيدا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

الهدف:

إبراز بعض الجوانب الدينية لمفهوم العيد من خلال هذه الآية. وأن يكون هذا اليوم يوماً خالداً في الأمة وليس يوماً لخصوص من رأوا الآية بل للأوّلين والآخرين على حدّ سواء.

فما معنى تكون لنا عيداً ؟ وهل معنى العيد هو الاحتفال والأفراح؟

بما أن كتاب الله هو الفاصل و الحاكم فيجب العودة إليه لفهم معاني هذه التعبيرات القرآنية، وإن أردنا تدبر كلمة عيد فنُرجعها إلى جذرها وهو عود/ يعيد/ معيد/ عودة، وقد جاءت تصاريف للكلمة وصيغها في مواضع عديدة في القرآن الكريم فعلى سبيل المثال في النصوص التالية:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ 12 إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ13﴾ سورة البروج

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ 21﴾سورة طه

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا 8﴾ سورة الإسراء

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ49﴾ سورة سبأ

والنصوص كثيرة والمقصود بهذا التعبير القرآني يدور دائماً حول معنى التكرار والرجوع، وليس وارداً أبداً معنى له صلة بالاحتفال، وإن رجعنا ثانيةً إلى نص سورة المائدة لنفهمها من خلال المعاني الواردة في النصوص القرآنية.

والمقصود هنا أن تكون المائدة ذكرى يرجعون إليها ليذَّكروا ما عاهدوا الله عليه وبالذي طلبوه هم وأخذ ميثاقهم بالإيمان والتصديق.

ثانيا في السنة الشريفة: وجدت ما يفوق عشر أحاديث منها:

1. حديث رقم: 1889: صحيح البخاري –كتاب الصوم – باب صوم يوم الفطر.
   عن أبي عبيد مولى بن أزهر قال : شهدت العيد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال هذان يومان نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيامهما يوم فطركم من صيامكم واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم.
2. حديث رقم: 4951: صحيح البخاري –كتاب النكاح– باب والذين لم يبلغوا الحلم منكم.
   عن عبد الرحمن بن عابس سمعت ابن عباس رضي الله عنهما : سأله رجل شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد أضحى أو فطرا قال نعم ولولا مكاني منه ما شهدته يعني من صغره قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم خطب ولم يذكر أذانا ولا إقامة ثم

أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة فرأيتهن يهوين إلى آذانهن وحلوقهن يدفعن إلى بلال ثم ارتفع هو وبلال إلى بيته.

3. حديث رقم: 885:صحيح مسلم –كتاب صلاة العيدين–:عن جابر بن عبد الله قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من وسطة النساء سفعاء الخدين فقالت لم يا رسول الله قال لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقرطهن وخواتمهن.
4. حديث رقم: 891:صحيح مسلم –كتاب صلاة العيدين– باب ما يقرأ به في صلاة العيدين عن أبي واقد الليثي قال : سألني عمر بن الخطاب عما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم العيد فقلت باقتربت الساعة وق والقرآن المجيد.
5. حديث رقم: 919:صحيح البخاري –كتاب العيدين– باب الخطبة بعد العيد
– ابن عباس قال : شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة.
6. وقال النبي صلى الله عليه وسلم :يوم الفطر ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام .رواه الترمذي وصححه .
7. عن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره. (صحيح)ابن ماجه 1301. قال أبو عيسى وحديث أبي هريرة حديث حسن غريب وقد

استحب بعض أهل العلم للإمام إذا خرج في طريق أن يرجع في غيره إتباعا لهذا الحديث وهو قول الشافعي وحديث جابر كأنه أصح(صحيح).

8. عن عمر قال صلاة السفر ركعتان والجمعة ركعتان والعيد ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم(صحيح) الإرواء 638 : تخريج المختارة 228 – 230 و 256(صحيح).
9. عن إياس بن أبي رملة الشامي قال شهدت معاوية بن أبي سفيان وهو يسأل زيد بن أرقم قال أشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتمعا في يوم قال نعم قال فكيف صنع قال صلى العيد ثم رخص في الجمعة فقال من شاء أن يصلي فليصل (صحيح) .
10. عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأ بهما (صحيح) وأخرجه مسلم .
11. عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا أذان ولا إقامة وأبا بكر وعمر ــ أو عثمان ــ شك يحيى (صحيح) .
12. عن جابر بن سمرة قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين العيدين بغير أذان ولا إقامة. (حسن صحيح) .

و جاء في الأثر عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين دخل عليه أحد المسلمين يوم عيد، فإذا عنده فاثور (أي خوان) عليه خبز السمراء، وصفحة فيها خطيفة (أي لبن يطبخ بدقيق)، وملبنة (أي ملعقة).. فقال: يا أمير المؤمنين!.. يوم عيدٍ وخطيفةٍ؟.. فقال رضي الله عنه : إنما هذا عيدُ من غُفر له. ونخلص في ضَوْء ما سبق من توافق و تفرقةٍ للفظ العيد:

فالتوافق الواقع بين كل من الكتاب والسنة من جهة و القافية من جهة هو أنهما يشتركان في أن العيد يعود لوقته.

أما التفرقة بينهما تعود إلى أنّ القرآن و السنة دلا على معنى العيد بما يلي:

فالعيد في معناه الشرعي له دلالة خاصة وعامة، فأما العامة و هي تشمل غير المكلفو المكلف بمعنى فرحة لهما استنادا للحديث حينما وجد المسلمين فرحين فقال لهم أبدلكما الله خيرا منهما، والدلالة الخاصة في أنه ذكرى و مغفرة لقول علي رضي الله عنه إنما هذا عيدُ من غُفر له.

وهو المعنى الذي أورده رسول الله في الخطبة الغرّاء التي استقبل بها شهر رمضان المبارك والتي قال فيها: (فإنّ الشقيّ من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم)، فإنّ من يقطع بالمغفرة، بإمكانه أن يفرح، ولكن إن كان شاكّاً في المغفرة عليه التوقف عن هذا الفرح.

أما بالنسبة لتأبط شرا فهو: ما اعتاد من مرض، أو حزن، وشوق ومنه قول الشاعر : عاد قلبي من الطويلة عيد.....واعتراني من حبها تسهيد.

فبيّنٌ كلّ البيان أنّ لفظ العيد في القرآن العظيم استعير للتعبير عن الشعور بلذة ذلك اليوم و ما يحمله من الجوانب الدينية كما هو معلوم، بينما استعير للحزن و المرض، والشوق، وكثرت استعارته لهذه المعاني في أشعار العرب كثرة عجيبةً، وشتان بين حزن ثابت و حزن الصائم.

ألفاظ "طَيْفٍ طَرَّاقِ

ورود لفظ طَيْفٍ في الكتاب:

قوله تعالى :﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾القلم 19 يقول تعالى: فطرق جنة هؤلاء القوم ليلا طارق من أمر الله وهم نائمون، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه طاف عليها أمر من أمر الله وهم نائمون.

وقوله تعالى:﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة.... و يطوف عليهم ولدان مّخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا مّنثورا﴾ الإنسان15 /19.وهذا جزاء الصابر على ما لقاه.

في القافية: ومَرَّ طَيْفٍ علَى الأَهوالِ طَرَّاقِ:

(الطيف) طيف الخيال، قال الأصمعي: يقال طاف الخيال يطيف طيفًا

فيقول: يطرقنا في موضع البعد، والمخافة، ولا يكون الطرق إلا بالليل.وذلك إذا أغفوا لطول ما قد مر بهم من التعب والسَرى، فإذا ناموا طرقهم خيال من يحبون، فيشوقهم، ويؤرقهم حبهم له، وغلبته عليهم.

الخلاصة :

أن الطائف لا يكون في كلام العرب إلا ليلا ولا يكون نهارا، وقد يقولون:أطفت بها نهارا.وهذا من الموافقات بين هذا اللفظ في القرآن والقافية.

ومن المفارقات بينهما أن لكل منهما أسبابه و دواعيه سواء في سورة القلم أو الإنسان و عند ثابت بن جابر.

لفظ يسري

ورودها في الكتاب:

سرى، وأسرى لغتان جاء بهما القرآن وذلك في:

قوله تعالى :﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ الإسراء الآية1. فِي جُنْحِ اللَّيْلِ.

و قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴾هود الآية 81

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ " قُرِئَ " فَاسْرِ " بِوَصْلِ الْأَلِفِ وَقَطْعِهَا ; لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ. قال أهل التفسير: الظَّاهِرُ أَنَّ وَجْهَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ أَنَّ السِّرَّ فِي أَمْرِ لُوطٍ بِأَنْ يَسْرِيَ بِأَهْلِهِ هُوَ النَّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ الْوَاقِعِ صُبْحًا بِقَوْمِ لُوطٍ ، وَامْرَأَةُ لُوطٍ مُصِيبُهَا ذَلِكَ الْعَذَابُ الَّذِي أَصَابَ قَوْمَهَا لَا مَحَالَةَ ، فَنَتِيجَةُ إِسْرَاءِ لُوطٍ بِأَهْلِهِ لَمْ تَدْخُلْ فِيهَا امْرَأَتُهُ عَلَى كِلَا الْقَوْلَيْنِ ، وَمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ كَالْعَدَمِ ، فَيَسْتَوِي مَعْنَى أَنَّهُ تَرَكَهَا وَلَمْ يُسْرِ بِهَا أَصْلًا ، وَأَنَّهُ أَسْرَى بِهَا وَهَلَكَتْ مَعَ الْهَالِكِينَ . فَمَعْنَى الْقَوْلَيْنِ رَاجِعٌ إِلَى أَنَّهَا هَالِكَةٌ ، وَلَيْسَ لَهَا نَفْعٌ فِي إِسْرَاءِ لُوطٍ بِأَهْلِهِ ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِهَا بَقِيَتْ مَعَهُمْ ، أَوْ خَرَجَتْ وَأَصَابَهَا مَا أَصَابَهُمْ . فإِذَا كَانَ الْإِسْرَاءُ مَعَ لُوطٍ لَمْ يُنَجِّهَا مِنَ الْعَذَابِ، فَهِيَ وَمَنْ لَمْ يُسْرِ مَعَهُ سَوَاءٌ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .وقوله تعالى: ﴿ و الليل إذا يسري﴾الفجر الآية 4 وَهَذَا قَسَمٌ

خَامِسٌ. وَبَعْدَمَا أَقْسَمَ بِاللَّيَالِي الْعَشْرِ عَلَى الْخُصُوصِ ، أَقْسَمَ بِاللَّيْلِ عَلَى الْعُمُومِ . وَمَعْنَى يَسْرِي أَيْ يُسْرَى فِيهِ كَمَا يُقَالُ : لَيْلٌ نَائِمٌ ، وَنَهَارٌ صَائِمٌ.

وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: مَعْنَى يَسْرِي: سَارَ فَذَهَبَ.

و الخلاصة أنها دلت النصوص على أن هذه الحركة تمت ليلا.

و في قافية تأبط : يَسْرِي علَى الأَيْنِ والحيَّاتِ مُخْتَفِياً:بمعنى يسير ليلا.

نخلص إلى أن ثمة توافق الواقع في لفظ يسري بين الكتاب وبين القافية.

والسُّرَى لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ، من أوله و أوسطه، وآخره، وأما السير فبالليل والنهار .

لفظ الأين:

ورودها في الكتاب:

قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾الحديد الآية 16

أي ألم يحن لهم ... أَمَاآنَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ، أَيْ :تَلِينَ عِنْدَ الذِّكْرِ، وَالْمَوْعِظَةِ، وَسَمَاعِ الْقُرْآنِ، فَتَفْهَمَهُ، وَتَنْقَادَ لَهُ، وَتَسْمَعَ لَهُ، وَتُطِيعَهُ.

في القافية : يَسْرِي علَى الأَيْنِوالحيَّاتِ مُخْتَفِياً يقصد بها الإعياء ، من آن يئين.

الخلاصة : أن مدلول اللفظ يفترق بين ما ورد في القرآن و القافية، لكن نلتمس فيه ضمنيا معنى الاعياء.

لفظا ولا أَقولُ إِذا ما خُلَّةٌ صَرَمَتْ :

في القرآن الكريم :

قوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ و لاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾البقرة الآية 254.

ويقول تعالى:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾النساء الآية125

ويقول تعالى:﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ الإسراء73

ويقول تعالى:﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾الفرقان28

ويقول تعالى:﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾الزخرف67

كما هو واضح وجود آيات تشرح معنى كلمة خليل، وجمعها أخلاء، والاسم خلة.

فجليّ أن الله سبحانه هو الذي اتخذ إبراهيم عليه السلام صديقا وحبيبا فيكفى إبراهيم عليه السلام فخرا أنه عرف الله بفطرته النقية وعقله المفكر .

في قافية تأبّط:

الخلة: الصداقة. وتقال للصديق، وتطلق على المذكر والمؤنث والمثنى والجمع،و أراد أن يقول: أنا مالك لنفسي مجرب، مختبر أَصلُ من وصلني، وأقطع من قطعني.

والخلاصة أننا نجد فالتوافق الواقع بين كل من الكتاب وبين القافية في أنهما يشتركان في مدلولها.

لفظ الصريم : صَرَمَتْ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ17وَلَا يَسْتَثْنُونَ18فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ 19فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ20فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ21أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ22﴾سورة القلم.

معناها في القرآن الكريم : أيفَ أَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ أَيْ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، أَيِ احْتَرَقَتْ فَصَارَتْ كَاللَّيْلِ الْأَسْوَدِ . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أنه قال: كَالرَّمَادِ الْأَسْوَدِ .

وَكَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ . فَالصَّرِيمُ بِمَعْنَى الْمَصْرُومِ ؛ أَيِ الْمَقْطُوعُ مَا فِيهِ . وَقَالَ الْحَسَنُ :صُرِمَ عَنْهَا الْخَيْرُ أَيْ قُطِعَ كَالرَّمْلَةِ انْصَرَمَتْ مِنْ مُعْظَمِ الرَّمْلِ .

يُقَالُ : صَرِيمَةٌ وَصَرَائِمُ ، فَالرَّمْلَةُ لَا تُنْبِتُ شَيْئًا يُنْتَفَعُ بِهِ.

وَقَالواَ كَالصُّبْحِ انْصَرَمَ مِنَ اللَّيْلِ. والصَّرِيمُ اللَّيْلُ وَالصَّرِيمُ النَّهَارُ، أَيْ يَنْصَرِمُ هَذَا عَنْ ذَاكَ وَذَاكَ عَنْ هَذَا. وَقِيلَ: سُمِّيَ اللَّيْلُ صَرِيمًا لِأَنَّهُ يَقْطَعُ بِظُلْمَتِهِ عَنِ التَّصَرُّفِ، وَلِهَذَا يَكُونُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ. قَالَ الْقُشَيْرِيُّ وَفِي هَذَا نَظَرٌ، لِأَنَّ النَّهَارَ يُسَمَّى صَرِيمًا وَلَا يَقْطَعُ عَنْ تَصَرُّفٍ .

صرم الصرم: القطيعة، والصريمة: إحكام الأمر وإبرامه ،و منه الصارم: الماضي، وناقة مصرومة: كأنها قطع ثديها، فلا يخرج لبنها حتى يقوى. وتصرمت السنة. وانصرم الشيء: انقطع، وأصرم: ساءت حاله.

أما المقصود منها في القافية: كما عبر عنها أنه مالك لنفسه مجرب، مختبر يصل من وصله، ويقطع من قطعه.

القاسم المشترك في المفردة أنه القطع.

لفظ غَيْدَاقِ:

من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدِقًا ﴾ يعني لو استقاموا على طريقة الكفر لفتحنا عليهم باب اغْترارٍ، من مطر كثير عامّ.

والماءُ الغَدَقُ الكثير و بِئْرُ غَدَقٍ مَعْروفةٌ و موجودة بالمدينةِ.

و في القافية : يقول أنه أسرع إسراعًا شديدًا حتى نجا من القبيلة، حتى قاربوا أن ينزعوا سلبه ولما يفعلوا، بواله أي بشد رجل واهل وهو الذاهب العقل، فليس يستبقي من جهده في عدوه شيئًا، فشّبه نفسه في سرعة عدوه بالخيل إذ الغَيْدَاقُ من الخيل : هو الطويلُ الواسعُ الجري.

وعود لما قيل بخصوص لفظ الغيداق أنه اختلف توظيف معناها في النظم القرآني عنه في القافية.

لفظ مُرَجِّعِ الصَّوتِ هَدًّا بينَ أَرْفَاقِ:

ورود اللفظ في القرآن الكريم :

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ مريم90

لَمَّا قَرَّرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ الشَّرِيفَةِ عُبُودِيَّةَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَذَكَرَ خَلْقَهُ مِنْ مَرْيَمَ بِلَا أَبٍ ، شَرَعَ فِي مَقَامِ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ وَلَدًا – تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

أيْ يَكَادُ يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ سَمَاعِهِنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ فَجَرَةِ بَنِي آدَمَ ، إِعْظَامًا لِلرَّبِّ وَإِجْلَالًا، لِأَنَّهُنَّ مَخْلُوقَاتٌ وَمُؤَسَّسَاتٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَلَدَ لَهُ ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ ، وَلَا كُفْءَ لَهُ ، بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ. وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :هَدْمًا . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ :هَدًّا يَنْكَسِرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ مُتَتَابِعَات. و في القافية: يراد بـ الهد الصوت الغليظ المرتفع.

التوافق الموجود في مدلول اللفظ في القرآن و القافية أن الجبال حين ينكسر بعضها على بعض متتابعات هذا الفعل يحدث صوتا قويا مرتفعا والذي يعرف بالدوي.

لفظ مِدْلاجِ أَدْهَمَ وَاهِي الماءِ غَسَّاقِ

في القرآن الكريم :

قال تعالى﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ الإسراء 78

قال تعالى ﴿و من شرَغاسقإذا وقب﴾ الفلق 3

فالغسق كل ما كان شديد الظلمة.

في القافية الغساق: الشديد الظلمة. يقال غسق الليل وأغسق إذا أظلم.

و هذا من الموافقات الواردة بين الاستعمالين في القرآن و القافية.

الألفاظ شَهَّادِ أَندِيةٍ و في رواية أنجية قَوَّالِ مُحْكَمَةٍ، جَوَّابِ آفاقِ:

ورود لفظ أنجية في الكتاب و السنة:

أولا في الكتاب:قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم﴾ المجادلة الآية 9 أي تساررتم.

و قوله أيضا: ﴿ وما يكون مننجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾، و قوله أيضا: ﴿ خلصوا نجيًا﴾ ومن السنة الشريفة : " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون آخر حتى تختلطوا بالناس أجل أن يحزنه "4 وأيضا "إذا تناجى اثنان فلا يدخل معهما غيرهما حتى يستأذنهما "5. فالمراد بها المجالس التي يتناجى فيها، أي يتسار، والمناجاة السرار و هذه لها آدابها الخاصة.

و في القافية أراد بها شهاد أنجية يعني المجالس

وهذا درب من التوافق الحاصل بين القرآن و اللسان العربي.

لفظ مُحْكَمَةٍ

وردت في القرآن﴿آياتمحكمات﴾آل عمران 7 بَيِّنَاتٌ مُفَصَّلَاتٌ، سُمِّيَتْ مُحْكَمَاتٍ مِنَ الْإِحْكَامِ، كَأَنَّهُ أَحْكَمَهَا فَمَنَعَ الْخَلْقَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهَا لِظُهُورِهَا وَوُضُوحِ مَعْنَاهَا. والمحكم الفاصل القاطع غير المتشابه في اللسان العربي.

و بهذا المعنى أوردها ثابت فهي الكلمة الفاصلة القاطعة للأمور، التي يقطع بها الأمر ويصرم مما يعيا به غيره فيجدونها عنده.

لفظ جَوَّابِ آفاقٍ:

استعمالها في القرآن: في قوله تعالى:﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾، أي: وَجَابُوا : قَطَعُوا . وَمِنْهُ : فُلَانٌ يَجُوبُ الْبِلَادَ ، أَيْ يَقْطَعُهَا . وَإِنَّمَاسُمِّيَ جَيْبُ الْقَمِيصِ ، لِأَنَّهُ جِيبَ أَيْ قُطِعَ.

و في القافية : وجوَاب: أي إنه صاحب أسفار، وغزو في نواحي الأرض، ويقول ليس هو ممن يحب الدعة ويقيم في الحي.

وجواب فعال من جاب يجوب، وأصل جاب شق، يقول شق الفلاة يسير فيها. و أراد بذلك القول بأنه خرق الأفاق وسار فيها. و بهذا نجد التوافق بين الاستعمالين.

لفظ ضَحْيَانَةٍ في شهور الصيف محراق :

في الكتاب قوله تعالى :قوله تعالى: ﴿ وأَنك لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى﴾ ﴿ والشمس وضحاها﴾ سورة الشمس 01. ﴿و الضحى و الليل إذا سجى ﴾ سورة الضحى 01

و في الحديث: أَن ابن عمر، رضي الله عنهما" رأَى رجلًا مُحْرِماً قد استَظَلَّ فقال أَضْحِ لمن أَحْرَمْتَ له " أَي اظْهَرْ واعْتَزِل الكِنَّ و الظِّلَّ؛ هكذا يَرْويه المحَدِّثون، بفتح الأَلف و كسر الحاء، من أَضْحَيْت؛ و قال الأَصمعي: إِنما هو اضْحَ لِمَن أَحْرَمْتَ له، بكسر الهمزة و فتح الحاء، من ضَحِيتُ أَضْحَى،لأَنه إِنما أَمَرَهُ بالبروز للشمس.

و في حديث الاسْتِسْقاء: " اللهم ضَاحَتْ بِلادُنا و اغْبَرَّتْ أَرْضُنا" أَي بَرَزَتْ للشمس و ظَهَرَت بِعدمِ النَّباتِ فيها، وهي فَاعَلَتْ من ضَحَى مثلُ رامَتْ من رَمَى، و أَصلُها ضاحَيَتْ؛ المعنى أَنَّ السَّنَة أَحْرَقَت النباتَ فَبَرَزَت الأَرض للشمس.

و في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلةإضحيانو عليه حلَة حمراء، فجعلت أنظر إليه و إلى القمر.قال فلهو كان أحسن في عيني من القمر " 6ليلة إضحيان وهي الليلة المضيئة المقمرة. و في قافية تأبط أراد بها الضحيانة أي بارزة للشمس، ظاهرة لها وذلك لطولها .

الخلاصة : أنه وافق استعمال اللسان العربي القرآن الكريم .

الخاتمة :

وجماع القول ونحن بين توافق أو افتراق للألفاظ الواردة في قافية تأبط شرا أنموذجا وفي القرآن والسنة نخلص إلى التمرات التالية:

1 – أن هذا يمكن أنّ يُردّ إلى اختلاف المقام والسياق والحال.

2 – القرآن الكريم نزل بلسان العرب ولا يفهم إلا بهم و منهم حكما و فهما ولسانا.

3 – أن القرآن الكريم خدم اللغة العربية، ويكفي أنها محفوظة ولم تنقرض كبعض اللغات فبحفظ الله تعالى كتابه يحفظ اللغة العربية، فهي باقية ببقائه إلى يوم الدين.

4 – القرآن حوَل اللغة العربية إلى لغة عالمية.

5 – القرآن الكريم انتزع اللغة العربية من أحضان الصحراء، وأتاح لها مُلكاً فسيح الأرجاء، تُأخَذ منه لألفاظها ومعانيها، وأغراضها وأسلوبها، ما لم تمكنها منه الحياة البدوية، فبعد أن كانت ثروتها في حدود بيئتها أصبحت غنية في كل فنون الحياة.

6 – يرجع الفضل للقرآن الكريم في أنه حفظ للعرب رسم كلماتهم، وكيفية إملائهم، على حين أن اللغات الأخرى قد اختلف إملاء كلامها، وعدد حروفها.

7 – القرآن الكريم هذَب ألفاظ اللغة العربية، فكانت لجهات اللغة العربية مختلفة، تحتوي على الفصيح والأفصح، والرديء والمستكره، متفاوتة في الفصاحة والبلاغة ولذلك نجد عثمان رضي الله عنه قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، وقال للجنة الرباعية: "إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلسان قريش فإنه

إنما نزل بلغتهم" وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها، وكانت تحتوي على أكثر لغات العرب. ينقل السيوطي عن الواسطي قوله ...." :لأن كلام قريش سهل واضح، وكلام العرب وحشي غريب"

8 – منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه، وهبها من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فغدت تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا يقول العلاّمة الرافعي رحمه الله: "نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعْجِزُ قليلَه وكثيرَه معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجهمن طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيح ولا قيصوم" .ويقول بروكلمان: "بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، ذكرنا مثل هذا لنبين أن الفضل ما شهدت به الأعداء.

ولذلك حاول العرب الاقتراب منها، وودوا لو أن ألسنتهم انطبعت عليها حين رأوا هذا القرآن يزيدها حسناً، ويفيض عليها عذوبة، فأقبلوا على القرآن الكريم يستمعون إليه، فقالوا على الرغم من أنفهم: "إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه"

الهوامش:

-القرآن الكريم.

1- أحمد بن فارس.الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها.تحقيق مصطفى الشوعي.لبنان.بيروت.مؤسسة بدران.د.ط.1963م.

2- ذكره البيهقي في سننه في شعب الإيمان/ النيسابوري في المستدرك على الصحيحين/ والطبراني في الأوسط/ وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد فيه العلاء بن عمرو الحنفي وهو مجمع على ضَعْفه، وقال عنه السخاوي في المقاصد الحسنة " وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن لغيره أو يرتقي من الضعيف الشديد إلى الضعيف الخفيف لكثرة رواياته من طرق أخرى.وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة وحكم بوضعه.

ملاحظة: أن لغة أهل الجنة اللغة العربية هذا يستوجب التوقف و هو من فضول الكلام.

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه = فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان الفارسي = ووضع الشرك النسيب أبا لهب .

3- أبو العلاء المعري. الفصول والغايات 1: 388.

4- صحيحالبخاري.مج4.ج7.ك الاستئذان.ب47 إذا كانوا أكثر من ثلاثة.ص184.

5- فتح الباري.للحافظ العسقلاني .ج11.ص93.

6- حديث ضعيف. قال الترمذي : سألت محمدا يعني البخاري قلت له حديث أبي إسحاق عن البراء أصح أو حديث جابر بن سمرة ؟ فرأى كلا الحديثين صحيحا.